الفصل الثامن

الصحة النفسية والكفاية الإنتاجية لعمال الصناعة(*)

* تقديم في تمهيد.
* الروح المعنوية لعمال الصناعة.
* الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق المهني.
* الصحة النفسية وغياب العمال الصناعيين.
* الصحة النفسية والحوادث.
* الصحة النفسية والعامل المشكل.
* مناقشة.
* خلاصة في خاتمة.

(*) ترجمة البحث الذي ألقاه المؤلف في المؤتمر الدولي للصحة النفسية، والذي عقد بالقاهرة في أكتوبر من عام ١٩٨٧. وقد نشرت هذه الترجمة في مجلة علم النفس، عدد ٦، القاهرة، ١٩٨٨

تقديم فى تمهيد:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء نظرة سريعة على بعض البحوث النفسية العلمية التى اجريت فى المنطقة العربية مستهدفة بحث العلاقة بين الكفاية (أو بعض مظاهرها مثل عدم الوقوع فى حوادث أو تسبيبها، وعدم الغياب عن العمل.. الخ) وبين الصحة النفسية للعامل فى ميدان الصناعة. ولا يعنى هذا اعتقادنا بأن اخصائيى علم النفس وعلماءه هم الخبراء الوحيدون الذين يجرون بحوثًا علمية فى مثل هذا المجال. بل أننا جميعًا نعلم أن هناك خبراء كثيرين وعلماء يقومون ببحوث هامة فى نفس المجال مثل الأطباء النفسيين والاخصائيين الاجتماعيين..... الخ.

١ - الروح المعنوية لعمال الصناعة:

قام السيد محمد خيرى (الأستاذ السابق لعلم النفس بكلية الآداب - جامعة عين شمس) بمشاركة أحمد زكى محمد (وكيل وزارة التعليم العالى السابق) بالاشراف على بحث ميدانى عن الروح المعنوية للعمال الصناعيين نشره المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة عام ١٩٧٢[١] ولقد أوضح هذا البحث أن هناك ارتباطا إيجابيا بين ذكاء العمال وروحهم المعنوية (١ : ٢٥٩)، كما صدقت هذه النتيجة نفسها أيضاً على المشرفين على العمال (١ : ٢٦٠) الذين كانوا يشرفون على أقسام ذات روح معنوية عالية

فى مقارنتهم بزملائهم الذين كانوا يشرفون على أقسام منخفضة الروح المعنوية. ولقد أبان البحث أيضًا أن مشرفى الاقسام منخفضة الروح المعنوية كانوا اقل سواء فى صحتهم النفسية فى مقارنتهم بزملائهم الذين كانوا يشرفون على أقسام مرتفعة الروح المعنوية، اذ كانوا أكثر سواء (١ : ٢٦١). وأكثر نضجا نفسيا (١ : ٢٧٧). كما أن البحث الميدانى علاوة على كل ذلك قد أوضح وجود علاقة إيجابية بين تماسك الجماعة وبين روحها المعنوية (١ : ٢٧٧).

ولقد وجد عبد المنعم جابر حامد (باحث عراقى) فى بحث ميدانى (عام ١٩٨١) قام باجرائه فى المنشأة العامة للغزل والنسيج العراقية نتائج شبيهة الى حد كبير بتلك التى وجدها السيد محمد خيرى وزميله فى مصر، خاصة ما تعلق منها بالعلاقة الايجابية بين الروح المعنوية والصحة النفسية، وبين الروح المعنوية وتماسك الجماعة، وبين الروح المعنوية أيضا والذكاء (٣ : ٤٧٣ - ٥٠٤).

٢ - الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق المهنى:

وفى دراسة ميدانية لمحمود السيد ابو النيل (أستاذ علم النفس بكلية الآداب - جامعة عين شمس) التى أجراها بمصر (عام ١٩٧٢) وجد علاقة سلبية بين التوافق المهنى للعاملين بالصناعة والاضطرابات السيكوسوماتية ووجد نفس العلاقة السلبية ايضا بين التوافق المهنى لهم وبين القلق (٧ : ١٩٧ - ٢٢٥). وفى دراسته الميدانية أيضًا عام ١٩٧٤ على الاضطراب السيكوسوماتى والعوامل الانفعالية لدى العمال سيئى التوافق مهنيا وجد من تطبيق قائمة كورنيل أن الجماعة سيئة التوافق فاقت الجماعة حسنة التوافق فى كثير من جوانب الاضطراب النفسى كالقلق والاكتئاب والسيكوباتية (٨ : ٢٥١ - ٢٦٢).

٣ - الصحة النفسية وغياب العمال الصناعيين:

فى بحثها الميدنى (عام ١٩٧١) طبقت سوسن اسماعيل عبد الهادى (أستاذة علم النفس بكلية البنات - جامعة عين شمس) ترجمة عربية، لمقياس القلق الذى وضعه ريموند كاتل على عينة من ٥٤٤ عاملا صناعيًا. ولقد وجدت معاملات ارتباط ايجابية مرتفعة الدلالة الاحصائية بين مستويات القلق وبين غياب العمال الصناعيين، حيث كان متوسط هذه المعاملات ٠,٤٦ (٢ : ٢٩٧ - ٣٢٣)، كما درس فارس حلمى أحمد (باحث فلسطينى) سيكلوجية العامل المتغيب (عام ١٩٧١) حيث اجرى بحثه الميدانى فى شركة النصر لصناعة السيارات بمصر. وقد تكونت عينة بحثه من مجموعتين متناقضتين بالنسبة لمتغير الغياب عن العمل كل منهما اشتملت على ٧٣ عاملا وقد حقق فيهما التكافؤ والتناظر. ولقد قام فارس حلمى احمد بدراسة مجموعتين من العوامل: إحداهما كانت احصائية صرفة (هى السن، والحالة الزواجية، والأجر، ومدة الخدمة، ومستوى التعليم، والمسافة بين مكان السكن والشركة). أما المجموعة الثانية من تلك العوامل فكانت البناء النفسى للشخصية. وقد أوضحت هذه الدراسة أنه لا توجد علاقة بين أى من تلك العوامل الاحصائية الصرفة وبين مشكلة غياب العمال.

أما بالنسبة لدراسة البناء النفسى للشخصية (المجموعة الثانية من العوامل التى درسها فارس حلمى أحمد) والتى تمت على ٣٠ عاملا من العينة الأصلية فقد طبق عليهم اختبار تفهم الموضوع والمقابلة الاكلينيكية. ولقد استعان الى حد ما بالمنهج الدينامى المتعمق، فوجد أن العامل كثير التغيب لديه مشاعر اضطهادية أكثر، كما كان أكثر إحساسًا بالإحباط وأكثر إحساسا بالعجز (٤ : ٢٦٣ - ٢٩٥).

٤ - الصحة النفسية والحوادث:

قام فرج عبد القادر طه ببحث ميدانى[٥] عن الحوادث والذكاء (عام ١٩٦٥) طبق فيه مقياس وكسلر - بلفيو لذكاء الراشدين والمراهقين (الذى اقتبسه وأعده للبيئة العربية لويس كامل مليكة ومحمد عماد الدين اسماعيل) على مجموعتين متكافئتين ومتناظرتين من عمال الصناعة (فى الشركة الشرقية للدخان والسجائر بمصر) كل منهما تكونت من ٣٥ عاملا. كانت المجموعة الأولى بمثابة مجموعة تجريبية حيث تكرر وقوع كل فرد منها فى حوادث خلال مدة السنوات الأربع السابقة على بداية البحث. بينما كانت المجموعة الأخرى بمثابة مجموعة ضابطة، حيث لم يقع أى فرد منها فى حادثة خلال الفترة المذكورة. وتتلخص نتائج بحثه بهذا الخصوص فيما يلى:

١ - لا توجد علاقة دالة (أى ارتباط دال) بين الحوادث والذكاء الكلى، ولا بينها وبين الذكاء اللفظى، ولا بينها وبين الذكاء العملى، (ولا بينها وبين معامل الكفاءة).

٢ - لاتوجد علاقة دالة بين الحوادث وبين أى اختبار فرعى من اختبارات الوكسلر بلفيو باستثناء اختبار الفهم العام.

٣ - لا توجد علاقة دالة بين الحوادث وبين الدرجات المرتفعة فى الذكاء الكلى أو الذكاء اللفظى أو الذكاء العملى أو أى اختبار فرعى من اختبارات الوكسلر. وبالمثل أيضًا لا توجد علاقة دالة بين الحوادث وبين الدرجات المنخفضة فى كل المتغيرات السابقة.

٤ - توجد علاقة دالة بين الحوادث وبين التشتت فى الصفحة النفسية للوكسلر - بلفيو.

٥ - كان الفارق بين مستوى الذكاء اللفظى ومستوى الذكاء العملى دالا إحصائيا فى جماعة الحوادث.

٦ - كان ثبات الصفحة النفسية للذكاء فى جماعة الحوادث أميل الى الانخفاض.

٥ - الصحة النفسية والعامل المشكل:

فى بحث ميدانى [٦] عن سيكلوجية العامل المشكل فى الصناعة (عام ١٩٦٨) قام فرج عبد القادر طه بتطبيق هذه الأدوات الأربع.

١ - مقياس وكسلر - بلفيو لذكاء الراشدين والمراهقين (السابق ذكره).

٢ - اختبار اليد الذى ترجمه وأعده المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر.

٣ - اختبار تفهم الموضوع.

٤ - المقابلة الاكلينيكية باستخدام منهج تداعى الذكريات*.

وقد طبق مقياس الوكسلر - بلفيو واختبار اليد على مجموعتين متكافئتين ومتناظرتين من العمال الصناعيين (بالشركة الشرقية للدخان والسجائر السابق ذكرها) كل منهما تكونت من ٢٠ عاملا حيث اختيرت المجموعة الأولى لتمثل المجموعة التجريبية (العمال الأكثر اشكالاً) بينما اختيرت المجموعة الأخرى لتمثل المجموعة الضابطة (العمال الاقل اشكالا والتى تكاد تختفى منهم المظاهر السلوكية المعوقة للانتاج) اما اختبار تفهم الموضوع والمقابلة الاكلينيكية فلقد طبقهما فرج عبد القادر طه فقط على ثمانية عمال من كل مجموعة. وفى هذه الدراسة حدد العامل المشكل بأنه العامل الذى يعتبر بسبب سلوكه عقبة فى سبيل تحقيق المؤسسة الصناعية للانتاجية العالية (كما وكيفا)، مثل الوقوع فى الحوادث والغياب عن العمل والمرض، والتمارض وكثرة الشكوى، وضعف الكفاءة.... الخ. وكانت أهم نتائج هذا البحث.. فيما يتعلق بمقالنا هذا ما يلى.

١ - لا توجد فروق دالة احصائيا بين مجموعة العمال المشكلين (المعوقين

(*) لمزيد من التفاصيل عن هذا المنهج أرجع إلى:

Deutch, F. & W. Murphy, the Clinical Interview, (vol. one) New York, International Universties press, Inc. 1951.

للانتاج) وبين مجموعة العمال غير المشكلين فى نسب الذكاء المختلفة التى نستخرجها من الوكسلر- بلفيو (نسبة الذكاء الكلية، نسبة الذكاء اللفظية نسبة الذكاء العملية، معامل الكفاءة).

٢ - كان متوسط درجات العدوان أعلى بشكل دال لدى مجموعة العمال المشكلين (كما يستخرج من اختبار اليد).

٣ - كان متوسط درجات التسيير منخفضا بشكل دال لدى مجموعة العمال المشكلين (كما يستخرج من اختبار اليد).

٤ - كان متوسط درجات الاعتماد ايضا منخفضًا بشكل دال لدى مجموعة المشكلين (كما يستخرج من اختبار اليد).

٥ - أظهرت مجموعة العمال المشكلين سمات وعلامات ذهانية أكثر فى البناء النفسى للشخصية (مثل الاصابات العقلية العضوية والاتجاهات الاضطهادية التدميرية والميول السيكوياتية والأرجاع الاكتئابية، وخلط التفكير) على نحو ما كشفت عنه الدراسة الدينامية المتعمقة باستخدام اختبار تفهم الموضوع والمقابلة الاكلينيكية.

٦ - كذلك أظهرت مجموعة العمال المشكلين فى الدراسة الدينامية المتعمقة سابقة الذكر أنها أقل لجوءا إلى الأرجاع والميكانيزمات العصابية (مثل الكبت والإزاحة، والأمراض السيكوسوماتية، والتكوين العكسى للدوافع والرغبات المدانة).

٧ - وبصفة عامة، فإن العامل المشكل (المعوق للانتاج) أظهر علامات وسمات مرضية أوضح فى الدراسة المتعمقة لبنائه النفسى.

مناقشـــة:

فى البحوث الميدانية العربية- على نحو ماذكرنا سابقًا- نجد اتجاها قويا لتأييد أن الكفاية الانتاجية للعامل الصناعى مرتبطة ارتباطًا ايجابيا عاليا بصحته النفسية، بمعنى أنه كلما كانت صحة العامل النفسية أفضل كلما أصبح أكثر كفاية انتاجية. ففى دراسة السيد محمد خيرى وزميله وايضًا دراسة

عبد المنعم جابر حامد نجد أن الصحة النفسية والذكاء وتماسك الجماعة أفضل فى الأقسام ذات الروح المعنوية العالية كما أنها افضل ايضا فى المشرفين على هذه الأقسام (مقارنة بالأقسام ذات الروح المعنوية المنخفضة). وكما نعلم جميعًا فإن الروح المعنوية ذات أهمية كبرى للكفاية الانتاجية.

وفى دراسات محمود السيد أبوالنيل كان من الواضح أن القلق والاضطرابات السيكوسوماتية لها أثر سيىء على الكفاية حيث يجعلان العامل أضعف انتباها وأكثر إرهاقًا وبالتالى تقل كفايته فى العمل.

كما أن الغياب عن العمل.. كما درسه فارس حلمى أحمد وسوسن إسماعيل عبد الهادى كان مرتبطًا ارتباطًا مرتفعًا بالقلق، وبالاحساس بالاضطهاد، وبالشعور بالإحباط العام وبالاحساس بالعجز.. وهذا يشير إلى أن الغياب عن العمل (كعلامة من علامات نقص الكفاية) مرتبط بشكل كبير بعوامل الاضطراب النفسى فى بناء الشخصية لدى العامل. هذا فى نفس الوقت الذى لم يجد فيه فارس حلمى أحمد أية علاقة بين غياب العامل والعوامل الفيزيقية التى درسها مما يشير الى أن الغياب هو فى أساسه مشكلة نفسية أكثر من كونه نوعًا آخر من المشكلات.

وفى دراسة فرج عبد القادر طه عن الحوادث (كعلامة هامة لنقص الكفاية) اتضح ان الحوادث ليست مرتبطة بمستوى الذكاء فى حد ذاته وانما هى مرتبطة فقط بنمط الصفحة النفسية للذكاء على نحو ما تتأثر بدورها بالاضطرابات النفسية فيظهر ذلك واضحًا فى التباين الكبير فى مكونات الصفحة النفسية للذكاء والفارق الكبير بين مستوى الذكاء اللفظى ومستوى الذكاء العملى... الخ.

وعندما قام فرج عبد القادر طه بدراسة الكفاية الانتاجية مباشرة فى بحثه الميدانى عن سيكلوجية العامل المشكل (أو العامل المعوق للانتاج)، تبين له أن هذا العامل أكثر عدوانية بشكل دال (فى مقارنته بالعامل غير المشكل) مما

يشير إلى اضطرابه النفسى. كما وجد انه الى حد ما غير مهتم باقامة علاقات مع الآخرين (حيث كان أقل بشكل دال فى درجات التسيير ودرجات الاعتماد فى اختبار اليد) كما أنه أبان أيضاً عن علامات ذهانية أكثر مما يشير الى نقص كبير فى كفاءة العامل المشكل عند ادراكه للواقع وحكمه عليه، وتعامله معه. ويلاحظ أن كل هذه الاضطرابات النفسية المتمثلة فى المظاهر السابقة يمكن أيضاً على المستوى المنطقى والنظرى - الاقتناع بتأثيرها السلبى على الكفاية الانتاجية للعامل الصناعى وذلك أن التوافق المهنى بصفة عامة يحتاج اساسا ادراكًا سليمًا وحكمًا موضوعيا وتعاملاً سويا مع بيئة العمل الفيزيقية والاجتماعية. ويبدو أيضا أن قدراً معتدلا من الميكانيزمات العصابية كالكبت والتكوين العكسى يمكن أن يتسر تحقيق الكفاية الانتاجية وترفعها.

خلاصة فى خاتمة:

لقد أوضحت البحوث الميدانية العربية عن سيكلوجية الكفاية الانتاجية فى الصناعة كما أوضحت غيرها فى البيئات الأخرى - أن هناك علاقة قوية بين الصحة النفسية الجيدة والكفاية الانتاجية العالية، فالصحة النفسية تتضمن التوافق النفسى، والتوافق النفسى بدوره يتضمن نوعًا من أكثر أنواعه أهمية هو ما يطلق عليه التوافق المهنى، والذى تعتبر الكفاية الانتاجية أهم ملامحه وأخطرها.

ومادامت بلاد العالم الثالث النامية فى حاجة ماسة إلى رفع مستوى انتاجيتها (كما وكيفا) فلابد لها من توجيه مزيد من الاهتمام والرعاية للأنشطة والاجراءات التى ترتقى بالصحة النفسية للمواطنين (حتى ينتجوا بأعلى كفاية إنتاجية ممكنة) مثل الإرشاد النفسى والاجتماعى والتوجيه المهنى والتربوى والعلاج النفسى والطب النفسى.

المراجـــع

١ - السيد / محمد خيرى وأحمد زكى محمد: «اشراف»: قياس وتشخيص الروح المعنوية لدى العمال الصناعيين، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٧٢.

٢ - سوسن إسماعيل عبدالهادى: العلاقة بين مستوى القلق وغياب العمال فى المجال الصناعى: فى قراءات فى علم النفس الصناعى والتنظيمى، إشراف فرج عبدالقادر طه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

٣ - عبد المنعم جابر أحمد: قياس الروح المعنوية لدى العمال الصناعيين فى العراق وتشخيصها، فى الكتاب السابق الذى أشرف عليه فرج عبد القادر طه.

٤ - فارس حلمى أحمد: سيكلوجية العامل المتغيب، فى الكتاب السابق.

٥ - فرج عبد القادر طه: سيكلوجية الحوادث وإصابات العمل، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٠.

٦ - فرج عبدالقادر طه: سيكلوجية الشخصية المعوقة للانتاج، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٠.

٧ - محمود السيد ابو النيل: علاقة الاضطرابات السيكلوسوماتية بالتوافق المهنى فى الصناعة، فى الكتاب السابق الذى أشرف عليه فرج عبد القادر طه.

٨ - محمود السيد أبو النيل: الحوافز والصحة النفسية فى الصناعة، فى الكتاب السابق.

٩ - Deutch, F & W. Murphy, the Clinical Interview, (vol. one) New York, International Universities press, Inc. 1951.